المحاضــرة الثامنــة :

المفارقــة

1-مفهوم المفارقة :

لغــة : جاء مفهوم المفارقة في المعاجم العربية بمعنى التفريق والفصل والتباين والتمييز، بالانطلاق من جذرها الثلاثي (ف ر ق) ، وتشير أغلب الدراسات إلى أن مصطلح المفارقة لم يظهر في المعاجم العربية القديمة، رغم أن دلالاته كانت متناثرة في ثنايا مصطلحات أخرى ، أفاض الدارسون في الحديث عنها وشرحها .

اصطلاحا : يرى "ميويك" أن المفارقة "ليست بالظاهرة البسيطة "، ولذلك فهي من المفاهيم صعبة التعريف، وهي عنده قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيرا واحدا بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغايرة المرهونة ببراعة المتلقي في تجاوز المعنى الظاهري إلى المعاني الخفية التي تستثير مجموعة من الإيحاءات المناقضة بالضرورة للمعنى الأول. وهو تعريف مكمل لتعريف "رولان بارت" الذي يجعل المفارقة سلسلة" شكوك تتحول إلى نوع من القلق مطلوب في الكناية ومن شأن هذا القلق إبقاء تلاعب الرموز وتعدد الدلالات قائما بتعدد القراءات التي تستفز العقل والخيال معا للظفر بما بين السطو"ر.

وقد وضع معجم أكسفورد مجموعة من التصورات للمفارقة ، لا تخرج في مجملها عن كونها قول الشيء وإرادة نقيضه ، بمجموعة من الآليات " ...إما أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه، ولا سيما بأن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن بقصد السخرية أو التهكم .. " .

تعرّفها **نبيلة إبراهيم** بقولها: " إنها لُعبة لُغوية ماهرة وذكيّة بين طرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدّم فيه صانع المفارقة النّص بطريقة تَستثير القارئ وتدعوه إلى رفض معناه الحرفي وذلك لصالح المعنى الخفيّ الذي غالبًا ما يكون المعنى الضّد وهو في أثناء ذلك يجعل اللّغة ترتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال، إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقرّ عنده " ، فالنص يعمد إلى إثارة القارئ واستفزازه

لرفض المعنى الحرفي في انتظار المعنى الذي يريده، وهنا تكمن قدرة صانع المفارقة على جذب انتباه القارئ نحو النص.

وفي تعريف آخر إن المفارقة: " ما تقوله ظاهريًّا ليس ما يعنيه الباطن"

والمفارقة عند **علي عشري زايد** تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض .

والمفارقة تبلّغ الحقيقة بطريقة ناعمة: " المفارقة تبلّغ الحقيقة بالتهكم أو السخرية أو المداعبة، عكس ما نَتصوّره أو ما نستطيع قوله " .

يقول"**ناصر شبانة** " إن المفارقة انحراف لغوي يؤدّي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع للتّصرف وفق وعيه بحجم المفارقة ".

عناصر المفارقة : ترتبط المفارقة بعدّة عناصر لتحقيق اِكتمالها وهذه العناصر تختلف من حيث النّوع والشكل، فكل عنصر له أهميّته وميزاته التي تفرّقه عن غيره من بقية العناصر، وبما أن المفارقة هي في أصل توجيهها، توجّه إلى قارئ ليتمعّن فيها ويُعيد إنتاجها؛ بالتالي فإن الأعمال الإبداعية تختلف من حيث الجودة .والمبدعون دائما ما وضعوا هذا الجانب في حُسبانهم خلال قيامهم بهاته الإبداعات، كذلك المفارقة تختلف في بنائها ودقّتها وقوة جذبها للمتلقّين، وكبقية الأعمال الأدبية الأخرى تحتاج المفارقة إلى عناصر عامة تقوم عليها:«ويمكن ترجمة هذه العناصر العامة إلى عناصر مفارقة كما يلي:

المرسل صانع المفارقة

المستقبل متلق واع حذر يعيد إنتاج الرسالة

الرسالة البنية المفارقة / تخضع لإعادة تفسير، فهذه العناصر العامة تُؤطّر المفارقة وتُبيّن لمن تقال ومن يتلقّاها.

المبدع أو المرسل الذي يمثّل الآن صانع المفارقة حينما يُنجز مفارقته فإنه يضع في ذهنه متلق معيّن سيطّلع على عمله أو بالأحرى مفارقته محاولا تفكيك نسقها، وتَبيين المعنى المتضمّن في طيّاتها من خلال ما استنتجه من قراءته، التي توصله في غالب الأحيان إلى التّشكيك في المعنى الأوّلي الظاهر، وتدفعه إلى البحث عن المعنى المقصود المخفي: «فالمفارقة تفرض على المخاطب تفسيرها السّليم، إنها تقوم بتبليغ رسالة تشمل على إشارة توضّح طبيعة هذه الرسالة ، وعندئذ توازي الرسالة الأصلية رسالة أخرى توضّح الطّبيعة الصّحيحة لمغزى المفارقة، ولذلك فإن حَل شفرة المفارقة يستلزم مهارة خاصة لفهم العلامة ، وهي مهارة ثقافيّة وإيديولوجيّة، يُشارك فيها المتكلم والمخاطب، فرسالة المفارقة في حقيقة الأمر تحمل رسالة أخرى تدل على المفارقة ومغزاها وتوضّح مقصدها، وتختلف مقصدية كل مبدع في وضع المعنى الذي يريد إيصاله أو تبليغه. والرسالة في نفس الوقت تتطلّب من المتلقي أن يمتلك مهارة وقدرة على إعادة التفسير.

وظيفة المفارقة :

نجد المفارقة في الفن والأدب يكون دافعها جماليًّا: " ولذلك فإن الدّافع الفني والجمالي هو الذي يمارس الدور الأكبر في صنع المفارقة ، وقد يلجأ المبدعون إلى أساليبهم الفنية الخاصة التي تساعدهم على التعبير عن آرائهم ونقد واقعهم، ومن بين هذه الأساليب "المفارقة" التي تُنتج معاني مضادّة للمعاني الظاهرة: «فإن أصحاب الكلمة يلجؤون إلى رسائلهم وأدواتهم الفنية الخاصة، التي يستطيعون بواسطتها أن يُعبّروا عن آرائهم وأفكارهم بطريقة فنية غير مباشرة، لا تُعرّضهم لبطش السلطة الغاشمة التي غالبًا ما تكون آراء هؤلاء وأفكارهم مقاومة لها، وانتقادًا لطغيانها . والمفارقة وسيلة من وسائل المقاومة حيث تولّدها أحيانًا البيئة المتسلّطة .

ومن أهمّ وظائف المفارقة كَسر المسلّمات والثوابت وتِبيان زَيفها: «فالمفارقة في الشعر مفارقة لغوية، تعتمد على تشكيل خاص يُفجر في اللغة الشعرية طاقاتها الكامنة، من أجل التّوصل إلى تشكيل يواجه الضرورة في الواقع، ويكشف عن زيف كثير من مسلّمات هذا الواقع " فهذا الواقع مليء بحقائق ومسلّمات زائفة تقوم المفارقة بكشفها وفضح خداعها: «والمفارقة تهدف إلى هَدم الثوابت والاشتغال على اللّامتوقع واختراق العادي

وتجاوزه، والجمع بين المتناقضات والمتضادّات وفي أحيان أخرى بين المتشابهات في فضاء قد لا يصلح لذلك مما يعمل على توليد المفارقة .

وتهدف المفارقة إلى كشف المتناقضات وتعرية الواقع الإنساني لتَغوص في أعماقه: " فقد تكون سلاحًا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق يشفّ عما وراءه من هزيمة الإنسان، وربما أدارت المفارقة ظهورها لعالمنا الواقعي وقَلبته رأسًا على عقب، وربما كانت تهدف المفارقة إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية، لترى ما فيه من متناقضات وتضاربات تثير الضحك" ، فهذا العالم الواقعي المتناقض يفرض على المبدع وفقًا لرؤيته، نمطًا من الإبداع تكون اللغة فيه مُعبرة عنه: «وينبغي النظر إلى لغة المفارقة على أنها صورة من إيمان العصر المهزوز بكل القيم والحقائق، فالحقيقة النسبيّة تُولّد لغة نسبيّة والمعادلة التي تحتمِل وجهات نظر عدّة، ينبغي أن يُعبر عنها بلغة مراوغة تَقبل وجهات النظر المختلفة وتَتداخل فيها الأضداد، وتتّسع فيها مساحة الاجتهاد للقارئ .

وللمفارقة وظيفة إصلاحية تَتمّ من خلال معالجة الظواهر السلبية في المجتمع بطريقة فنية، ويمكن أن تكون المفارقة أداة للتوازن "وإذا كان من سِمات العصر الأساسية أنه يَذر الإنسان في فوضى الاحتمالات، فلا أرض صَلبة يقف عليها، فإن المفارقة مَعنية هي الأخرى بإحداث التوازن من خلال السّمة نفسها، إذ لا تهدف المفارقة إلى جعل النّاس يصدّقون، بِقدر ما تجعلهم يعرفون" .

وتُساهم المفارقة في بناء وتماسُك النصوص، من خلال قدرة المبدع على توظيف الألفاظ والمعاني المتضادّة، توظيفًا يُدخل القارئ في النّسيج النصي: «وللمفارقة وظيفة مُهمة في الأدب بشكل عام والشّعر بشكل خاص، فهي في الشعر تَتجاوز حُدود الفِطنة وشدّ الانتباه، إلى إيجاد التّوتر الدّلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء، الذي قد لا يتولّد فقط من خلال الكلمات المثيرة في السياق بل عبر إمكانات الشاعر أو الأديب البارعة في توظيف مفردات اللغة العادية واليومية، وكلما اشتدّ التضاد، ازدادت حدّة المفارقة في النص ، فحُسن توظيف المبدع للتضاد ودقّته يزيد من دقّة المفارقة، ويُنمّقها ويُسهل عملية البناء والتّماسك النصي: " فالمعنى يظل ناقصًا ما لم يكتمل بنظيره ولا يتحقّق المعنى إلا بنقيضه " ، إذ تُساهم المفارقة بالمعاني المتناقضة فيها إلى إقناع المتلقي أكثر من

المعاني الأخرى الجاهزة فيُمسي القارئ شريكًا في عملية إنتاج المعنى فهي لا تُفصح عن المعنى المقصود مباشرة، بل يقوم المتلقي حسب قراءته في اسْتحضار المعاني والتّفسيرات: «وتَكمن قيمة المفارقة في سَعيها الدّؤوب إلى تأجيل المغزى مما يُتيح للمعنى الحرفي البقاء، وهذا بدَوره يُفضي إلى مُتوالية لا نهائيّة من التفسيرات للمفارقة .